



ماريانا

مسرحية لفيدرريكو غارسيا لوركا - ترجمة شاكر مصطفى
منشورات دار الاداب - بيروت - ١٢٠ ص



هذه مسرحية شعبية نظمها الشاعر سنة ١٩٢٥ ، وهي مسرحية يغلب عليها اللون الشعري بصورة والوانه ، حتى كانها هي التي تتكلم في اطار جاذبة بسيطة جدا ...
ولئن مالت الى استخدام هذه الصور التي تقتضيها طريقة الشعر فانها عرضت عن تشابك العقد المسرحية فيها . وهي - الى ذلك - تترك انسرا متفعلا في القاريء ، او الناظر الى لوحاتها ، لانها تعبر عن معنى انساني هو معنى الحرية والكرامة .

في اللوحة الاولى نرى نسوة يهذين ما بينهن ، ويطرزن بأيديهن . ومنهن « ماريانا » بطلا المسرحية ، وهي ارملة في الثلاثين من عمرها ، لها طفلان . كانت تطرز شيئا غريبا لا يتصل بطفلها .. انها تطرز راية للشوار .. لان بين هؤلاء الشوار الفتى « بديرو » الذي تحبه ، وتحب مبادئه .
وبديرو فتى ثائر ، متحمس لقضية الحرية في بلاده .. كان سجيناً محكوما عليه بالاعدام ، لكنه في تلك الليلة استطاع الإفلات ، بيد انه يريد ثوبا ينكر به ، وجواز سفر يهرب به . وهو قد وضع ثقته بحبيبته « ماريانا » التي تستطيع ان تؤمن له هذه الاشياء في الموضع الذي عينه لها ..

ولكن من ذا يستطيع القيام بهذه المهمة الخطيرة تحت مراقبة العيون ؟ كان هناك بجوارها فتى اخر يحبها .. فلنكلفه بذلك ! انه فرناندو ! شقيق رفيقتها .

ولكن هل يتقبل « فرناندو » ان يقوم بهذه المهمة لرجل يمسده عدوا منافسا له ؟

ان هناك واجبا قوميا وانسانيا اقوى من حبه ، يهيب به ان يفعل ذلك .. فيقول لها :

- ليست اللفظة بفلطنتك ، لا .. وعلي الان ان اساعد رجلا يقاتل في ان ابغضه .. مع ان الذي يحبك هو انا .
فتجيبه معللة حبا له :

- ليس يورثني الخجل ان اقول كم احبه ، اني لا احترق في حبه ، واتوهج كلي معا .

انه يحب الحرية ، وانا احبها اكثر مما احبه .
وفي اللوحة الثانية ، يستطيع فتاهما الثائر « بديرو » ان يتفلسل عيون الرقيب ليزورها . حتى اذا طاشت المفاجأة بلبها هدم خوفها :

- لاتخافي يا فتاتي ! يا حياتي !
انا لنتامر بمنتهى السرية . لاتخافي !

ان الراجية التي تطرزين سوف ترفرف في الشوارع . بك انت ..
سوف تقف الحرية التي يتوق اليها الجميع .. ولكن يخشى ذلك الرقيب

الخائن القاسي ، الموكول اليه امر الفيض عليهم .. وهو بديروسا .. لكنه يطمئنها بانه استطاع ان يخدعه في الحقول ، وجاءها مستخفيا .
- ها انا ذا قد جئت !
سانتصر بمساعدتك .

ايتها الحرية ! حتى مع الدم دقي كل الابواب !
لكنها لاستطيع - مع ذلك - ان تفقده ، لانها تحب الخير والشرير على السواء .. اذ في الحب يكون الانسان خارج الزمن ..
وفي هذه الحالة يدخل رفاقه بحذر ، وهم ينتظرون رسولهم الذي يجب ان يكون الان في الطريق ، لينبئهم اذا جاء موعد اعلان الثورة ...
فيصل هذا الرسول ، لينبئهم « ان الحكومة ترفقهم في كل مكان وعليهم ان يؤجلوا الثورة ، او يناضلوا وحدهم حتى الموت » ..
ويبدو ان « بديرو » لا يريد الانتظار ، لكن رفاقه يحملون عليه ..

وفجأة ، يقدم رجلان مقنعان احدهما « بديروسا » فيتوارى الفتيان المتآمرون . ويدخل « بديروسا » بوجه شديد الصفرة الباهة ، فتلقاه ماريانا مستغربة ، فيمل لها مقدمه بان الريح الدقيقة الثلجة الجانسه الى بيتها ... ويلججه مأوئا السخرية يسألها عن الشيء الذي تطرزه ، فتدرك انه لم يات الا لامر ...

يسألها عن الراجية التي تطرزها ضد القوانين ، وضد الملك ، وفي الوقت نفسه يشعرها بالاطمئنان . ويدني شفقيه من شفيتها ، لكنهما تدفعه بوحشية ، وهي تقول :

- هذا ابدا ! اني لادفع دمي قبل ان يكون ذلك ، وليكلفني ذلك الالم ، ولكن مع الشرف !

انا طرزت الراجية بيدي واعرف رجالا عظاما سوف يرفعونها في غرناطة ، ولن اقول اسماءهم .

فيقبض عليها باسم القانون .. فتهاوي مرتمية على الديوان بين طفلتها تبكي ..

وفي اللوحة الاخيرة ، تجد ماريانا سجينة في احد الاديرة ، مع راهبات مستجدات ... يحملن اليها التعزية ، وهي تملؤها الثقة بان حبيبها بديرو سيعلم ذلك ، ويأتيها على حصان كالمجنون لاقادها من سجنها كما انقذته ..

ولكنه بدلا من ان يأتي هذا الحبيب جاء بديروسا الخائن الكريه ، بعدها بانها لن تموت اذا باحت له باخبار . لكنها تاتي ذلك .. لانها تستطيع ان تقف لميونه التي ترقب المكان الذي تحتفظ فيه بهذا السر الذي لن تبوح به بملك الارض . وعلى اية جريمة يقتلوننا ؟ انها طرزت على راية الحرية اعظم حب في حياتها ؟

انه لا يزيد منها الا اسماء المتآمرين ... ثم تحيا ... !
وفي المشهد الثامن يدخل عليها « فرناندو » باهت اللون ، فتسأله عن حبيبها بلهفة : هل جاء معه ؟ لينقذ حياتها ؟

لكن فرناندو ينبئها بان حبيبها بديرو لن يأتي ، لانه لم يحبها ابدا ...
- انه هرب الى انجلترا مع بعض الرفاق .. وتخلي عنك كسل

اصدقائك القديما .

انا - هنا - وحدي ... الذي يحبك .

لكن ماريانا تنفجر باكية :

- لقد طرزت الراهبة من اجله . وقد تأمرت لاحيا واحب اراءه

الخاصة . احب الحرية ...

اذن ، ساكون انا الحرية نفسها التي تعبد .

لكن فرناندو يحاول ان يقتنعها بافشاء اسماء المتأمرين ، ليكتب لها

الحياة . ولكنها تجيبه بعزم :

- لا اريد ان يحتقروني اولادي ... اولادي سيحملون نضاعة على

الوجوه لامتحوها السنون . واذا خضعت فان هذا الاسم سوف يلفظ

في خوف ، في كل طرفات غرناطة .

فيذكرها فرناندو بالحب والموت .. لكن الموت عندها هو نومة

طويلة دون احلام ولا ظلال ..

وترد عليه بحزم :

- ايتها الحرية ! اني لاهبك نفسي جميعا ، كي لا يخذم لهابك العالي

ابدا .. الى العلاء ياقلبي !

وفي اللحظة المعبئة اقتادوها برمبة الى حيث ينتظرها مصرعها ..

وهي تصرخ :

((احب الحرية فوق كل شيء .. ولكني انا الحرية نفسها .. ايتها

الحرية في الاعالي ؟

ايتها الحرية الحقيقية اوفدي لي نجومك البعيدة !

اروين قصتي الى الاطفال الذين يعيرون . والان ، وداعا !

وفي احدى الزوايا كان اطفال يغنون مع رنين الاجراس .

آه ياله من يوم حزين في غرناطة !

يجعل حتى الحجارة تبكي .

لرؤية ماريانا تموت على المفصلة ، لانها لاتبوح . ((

هذه هي قصة ماريانا التي تمثل بطولة المرأة في تحدي الظلم ،

ومقاومة الاغراء ، تعلقا منها بحرية بلادها . وقد كان في مكتبتها ان تحيا

لو استجابت الى ما طلبوا منها . ولكنها ادركت انها لم تعد مخلوقا اسمه

((ماريانا)) تنصرف في حياتها كما تريد ، وانما أصبحت رمزا للحرية التي

ينبغي ان تكون اقوى من الحياة .

اما الترجمة ، فعلى صعوبة ترجمة الشعر - وبخاصة اذا كان

غنيا بالصور التعبيرية ، فان المترجم الاديب - شاكر مصطفى - قد

استطاع بادبه الرهيف ، وذوقه النقي ، ولقته المترفة ، وتمكنه من

اللفتين ان ينقل اليها المشاهد بحياة وأمانة ...

ان مسرحية ((ماريانا)) درس في القومية والانسانية لاينسى ..

خليل الهنداوي

حلب



حلم ليلة تعب ...

مجموعة قصص بقلم بدر نشأت



هاهو صاحب المحاولة يعود اليها مرة اخرى .. ولكن هذه المرة

بوعي اشد ، وفن اعظم ، وجرأة ابعد .. فها هي المجموعة الثانية للقصص

الشباب المجدد بدر نشأت تحمل عنوانا استمد تركيبته من شكسبير ،

وان لم يهزل كما هزل شكسبير في ملهاته ، فقد اطلق على مجموعته

اسم : ((حلم ليلة تعب)) ..

ولكن قبل ان نطل على قضية اللفة في عمله والتي افرد لها فنه ،

نريد ان نطل على هذا العالم الذي حوى ست عشرة قصة . فماذا نرى؟

ان العالم السائد هو عالم المدينة .. عالم الضجيج والكفاح والانهيار

والضياع والامل .. عالم حمل من المدينة في صدره سهلا فيلجا السي

المخدرات لكي يستطيع ان يجد مزاجه مع امرأته آخر الليل ((افبون)) .

عالم ينكر الزميل زميله القديم ان اختلف وضعهما الاجتماعي بعد مرور

السنين ((اصحاب)) .. عالم يضطر الانسان ان يغير فيه افكاره واخلاقياته

نتيجة الوضع المادي ((حلم ليلة تعب)) .. عالم يكتب مثقوفه بلغة ويفهم

أميوه بلغة اخرى ((جواب)) .. عالم يتسكك فيه الانسان بكرامته وسط

جميع الحلقات مهما كان صغيرا ((ولد)) عالم يشعر فيه الانسان بانه

لم يعد نظيفا كعص الاخرين لانه فقير ((سمبو)) عالم تنافس فيه السيارات

العربات الحنطور وتزحف الالة على رزق الانسان ((الاسطى سيد)) عالم

يتأثر بالتفجيرات الذرية والتجارب النووية حيث تتأثر الاسماك ويخشى

ان يتسلل هذا في رزقه ((سلون)) عالم تضطر فيه المرأة ان تتزوج من

يكبرها وان كانت متعلقة بمن شاعلها فترة ولم يتزوجها لانه مازال طالبا

فتواصل علاقتها به ((اذاعة)) عالم تضطر مدينته ان تجعل الفلاح النازح

من قريته يغير من اخلاقياته ويملق كذبا من اجل قوت عياله ((واللسه

العظيم)) عالم مزيف يجعل الفتيات ينزلن في تيار اللهو والعصب ((الحزام))

عالم رغم حلكته ، مازال ينبض حيا ، لانه عالم يعيش .. حب عامل المرحاض

العجوز لوطنه ، فيسمح جميع اللافئات البديئة داخل المرحاض ، الالافنة

عن حرب السويس ((الادي)) وحيث نجد قسوة الحياة والشاكسة من

اجل الرزق عند العربي ، ورغم هذا يتسامح في ان يدع المعزة تاكسل

مع حمامه برسيمه . ((المعزة)) ، وحيث لاتعلم امرأة المدينة - رغم

جوعها الجنسي - الا بتزويج ابنها لتحسن بتجدد الحياة واستطانتها

((ونامت ام احمد)) .. وينتهي عالم المدينة ويبقى عالم الريف السني

قدم فيه المؤلف ((قل أعوذو)) وفيها يكشف عن فساد التعليم الديني

في القرى ((الفلة)) التي تبين ظلم اصحاب الارض ...

هذا هو العالم ، وهناك بعض الوقفات اثناء هذه الرحلة :

١ - رؤية المؤلف حادة ووعيه كبير . انه يوجه انتباهه الى التجارب

الفريية - وهو هو ما يميزه عن غيره مضمونا وفنا على السواء-فمثلا ، ان

التجربة غريبة ان يبحث عن ابراز الوطنية في رجل على عتبة الموت

شيخوخة ، يظهر عاطفة الوطنية في حادث صغير ، عندما يسمح اللافئات

التي تحمل كلاما بديئا وتتوقف يده عندما يلوح لافنة وطنية فيسمح حولها

ليبرزها . ان التجربة مليئة بالجدة والتجديد مضمونا .. وكذلك من

ناحية الفن ، فلكي يتخلص من الخطابية والطنطنة والضجيج ، لجأ الى

هذه الزاوية القصيرة ، الا وهي زاوية القصة القصيرة ، معالجا اياها

داخل موقف ..

٢ - العالم جميعه حاضر .. انه يسلسل الافعال المضارعة في عناق ،

فيظهر الحاضر وكأنه يحدث امام اعيننا .. ساعده على ذلك اللفسة

العامية ، وقد ساعد هذا في نبض الشخصيات ..

٣ - تبرز سمته الفنية في مزج السرد بالمونولوج الداخلي ، خاصة

وهو يشع باللفة التي تنطق بها الشخصيات وبصفة مميزة ، عندما يصبح

الكلام مقطعا مبتورا .. وان عيب عليه في بعض المواقف الالية وعدم

الدينامية .. وخفف على القاريء عدم وجود تنافر او وجود هوة كبيرة

بين لفة السرد ولفة المونولوج ..

٤ - الواقع المادي هو المحدد لسلوك الشخصيات وتعرفاتها .. ولكن

تحول السلوك الى سلوك ميكانيكي لهذا الوقع المادي .. بل لقد انعكس

هذا حتى في عملية التذكر وجعل التجربة الراهنة تضاهي تمام المضاهاة

تجربة قديمة تذكرة ..

٥ - يقفني المضمون عندما يصبح الرمز جزءا حيا عضويا فسي

العمل ، كرمز الحزام ((في قصة الحزام)) ، اذ ان عملية شرائه وعملية

قطعه انما هي رمز لمضمون الفكرة وبناء شخصيتها الرئيسية ..

٦ - هناك عين خارجية لدى المؤلف دقيقة في الرصد .. لكنهما

الدقة التي تخل بالعمل المعروض ولا تخدمه ، فمثلا : في قصة ((جواب))

كتب كاتب الخطاب على الظرف :

((يسلم ليد عبد العال فرج عبد العال ، ويرد بالتالي ان لم يسلم في

ظرف ثلاثة ايام ، ومستعجل على الظرف ومن تحتها خط)) .. فهنا

رصد للواقع وهو رصد امين دقيق ، لكنه غير موظف لخدمة بناء القصة .

والسبب في هذا :

تقبل هذه المحاولة الجريئة ، فهناك حسي تكون - مهما كانت درجة خطئه او صوابه (١) - ويجب التطوير من خلاله لا من خارجه .. خاصة وان اللغة لم تعد طيعة بعد في يده كمثل قوله : « كانت امراته التي جواره رائحة في النوم . » فهذه الكلمة معناها في اللغة العربية غير المعنى الذي يقصده في اللغة المنطوقة ، ولم يتمكن من المزج بينهما مزجا تاما وان ظل له شرف المحاولة مراعين انه يكاد يكون الوحيد الذي يقاوم في هذا الميدان ..

ان « حلم ليلة تمب » ليست حلما ، ولكنه واقع ، وواقع كثيف ، يحتاج الى حلم ، الى حلم كبير ، لكي تتنامى ادوات المؤلف الفنية والتي مازالت في اطرافها بعض الخشونة التي تحتاج الى هذا التنعيم ..!
مجاهد عبد المنعم مجاهد
القاهرة



تاريخ الفقه الجعفري

تأليف هاشم معروف الحسني ، تقديم محمد جواد مفنية ، دار النشر للجامعيين ، ٢٥٩ ص ، بيروت .

لم يؤلف في تاريخ التشريع الاسلامي من الكتب الا القليل ، منع ان مادة هذا التاريخ موجودة في مصادر عديدة ولكنها مبثرة وتحتاج الى جهود جاهدة لجمعها وتصنيفها ثم دراستها . ومع ذلك فقد اقدم بعض الباحثين على انجاز هذا العمل ولكن الاقدام لم يكن شاملا ونناججه لم تكن دقيقة ، ولذلك ظلت الكتابة في هذا الموضوع متيسرة لمن يستطيع الصبر على التنقيب والبحث والمقارنة والدراسة ثم بعد ذلك كله التوصل الى نتائج سليمة تتفق مع حقائق التاريخ ونزاهة العلم . ومن الكتب الحديثة التي جمعت بين الدقة في البحث والسعة في العلم والرجحان في الرأي كتاب الاستاذ هاشم معروف الحسني « تاريخ الفقه الجعفري » وهو من الكتب النادرة في موضوعه .

ينقسم الكتاب - باستثناء مقدمة العلامة مفنية ومقدمة المؤلف - الى ثلاثة اقسام ، الاول يبحث عن بعض موضوعات الفقه من اصول الدين الاسلامي الى فروعه الى بعض الاحكام الفقهية الاخرى ، وذلك كله على رأي الشيعة الامامية وكما ورد في كتبهم ومصنفاتهم الشهيرة في هذا الباب . ويعتبر القسم الاول من الكتاب كتمهيد لاصل الموضوع وهو تاريخ الفقه ، وهذا التمهيد ضروري لجلد بعض الاحكام الفقهية وتبيان الفروق الاساسية بين المذاهب الاسلامية المعروفة ولكي يتيسر بعد ذلك الدخول الى اصل الموضوع بسهولة . فيما بحثه المؤلف في هذا الصدد اباحات في الحاجة الى التشريع والاستدلال باياته ، واباحات في التوحيد والبحث واساليب القرآن في التشريع ، ثم انتقل بعد ذلك الى الحديث عن الصلاة واحكامها وعناية القرآن الكريم بها ، وكذلك عن الصيام والحج والزكاة ونظام الصدقات في الاسلام والجهاد في الدين . وانتقل بعد ذلك الى موضوع شائق هو المرأة في الاسلام ، فبين المؤلف عناية الاسلام بالمرأة وكتب فصولا عن نظام الزواج وتعدد الزوجات ونظام الطلاق والسائل الفقهية المتعلقة به . ولا بد ان ينتهي هذا البحث الى الحديث عن الارث واحكام العقود والمعاملات والعقوبات التي نصت عليها آيات الذكر الحكيم ..

فالقاريء يخلص من هذا التمهيد الى العلم باركان الشريعة الاسلامية وفقا لمذهب الشيعة الامامية وبالمقارنة مع المذاهب الاسلامية الاخرى . اما القسم الثاني من الكتاب فينصب على الدور الذي لعبه الشيعة في التشريع الاسلامي خلال عهد الصحابة « منذ وفاة الرسول - ص - الى تاسيس الدولة الاموية في الشام » ولكي يستطيع المؤلف ايفاء الموضوع

(١) من المؤكد ان المفاريت لا وجود لها ، ورغم هذا فلها وجودها الوجداني في نفوس الاطفال ولن تنقطع عن الوجود في التوحا كما تقول ان المفاريت لا وجود لها .. « يجب مراعاة الفارق بين وجوهي المقارنة » .

٧ - الشخصيات تعيش في واقفها الخارجي اكثر مما تعيش في واقفها النفسي « لم تشذ الا قصة : « ونامت ام احمد » وكان هذا - او ربما كان هذا - سبب نجاحها » .. لاقول ان واقفها النفسي غير مرسوم ولكنه هزيل شاحب اذا ما قورن بالواقع الخارجي .. والسبب « وليس هذا عند صاحب المجموعة وحده بل عند كل شباب الواقعية » ان الواقع الخارجي يظل في العمل الفني واقفا خارجيا ، بينما المفروض انه جزء في البناء العماري للقصة .. أي يجب ان يتحول من كونه مضمونا الى كونه وسيلة صياغية لبراز الفكرة .. وكان من نتيجة هذا ان العمل وقف عند حدود الرصد الخارجي وبالتالي لم يعد قصة ، او هو من الاصل يعد صورة مثل « قل أودو » و « الفلة » ..

٨ - وهناك ظاهرة - اعتبرها نقيصة - ليست عند صاحب المجموعة وحده - وان كانت مخفضة نوعا ما لديه - الا وهي ظاهرة وجود مقدمة استطرادية بلا نتيجة .. بمعنى ان القصاص يصف ويرصد .. والمفروض انه يفعل هذا لكي يصل الى الحادث ثم الى تأثير هذا الحادث وتبرير هذا التأثير من خلال الوصف .. ولكن ماذا نجد ؟ اننا نجد « ا » الوصف والرصد والتقديم للحديث « ب » الحدث .. اما العنصر الثالث والمفروض ان القصة قد خلقت له ، فلا وجود له او يمر عليه مرورا عابرا وهذا هو الذي يقف بالقصة عند حدود الصورة .. ففي قصة « اصحاب » ذكر لنا في صفحات رؤية العامل العاطل للمدير الذي كان صديقه في المدرسة وقد توقع ان يشغله لكنه لم يفعل .. ثم يذكر : « ومشى زعلان متفاقا » .. لقد رسمت القصة لبراز هذا الزعل والضيق لا في تقرير ولكن في افاضة ٩ - وقد ساعد على هذا جفاف العبارات : فالعبارة تحمل شحنة الوصف الخارجي ، لكنها بلا أي ظلال تترامى في النفس .. انها مقتنبة جافة ، غير مستقيمة ، واذا كانت الجملة تحركنا فهذا بفضل شيء خارجي عنها ، هو التعبير الشعبي ..

١٠ - هناك احكام في البناء ، هنا استاذية في هندسة الجزئيات ودمجها لكي تفضي الى الخاتمة المدبرة من قبل .. وربما كانت شدة الاحكام هذه ادت احيانا الى انكشاف الخاتمة منذ البداية ولم تشذ الا قصة « اذاعة » وذلك بسبب ان نفسية النموذج مهتزة ..

١١ - جميع شخصيات القمص سوية Normal

فهل كون الشخصيات سوية من سمات العمل الفني الكبير ؟ انا اضع هنا تساؤلا .. وهو تساؤل مفتوح عندي اجابته ولكن مبرراته الجمالية لن يتحملها مقال مرصود لعمل نقدي تطبيقي .. ولكنني اضعه كأمكنية للبحث والتساؤل ..

١٢ - بقيت قضية اللغة .. والكلام فيها يطول .. ولن اكلّم عن اللغة باعتبارها طريقة تثقيف وربط بين البلدان ، فهذه قضية سياسية ولست من اصحاب الدعوات السياسية .. ولكن لتقتصر على الفن .. لما كانت اللغة في الفن ليست لغة مباشرة ، ليست لغة جفاف واقتضاب وتقرير وسرد ، فهي اذن لغة ظلال واحساس ووجدان وصور .. ولما كان يمكن تقسيم الادراك الى احساس وادراك حسي وتخيل وادراك عقلي فافكار ، فنستطيع ان نقول ان عالم اللغة الفنية هو عالم الادراك الحسي والتخيل - كمناطق تمايز - ولما كانت الكلمة المنطوقة لها ظلال وجدانية وتثير تحريكات بيولوجية وتبعث خيالات معينة ، فهي الكلمة الأشد التصاقا بعالم الفن .. ليس معنى هذا ان الكلمة الفصيحة ليس لها تأثير ، ولكن تأثيرها على الوعي والادراك العقل والافكار - كمناطق تمايز ايضا - خاصة اذا عرفنا ان الفن هو اللحم والدم والخاص ، ولن يتم هذا الا اذا كانت الشخصية لها لحمها ودمها وخاصها ، ولغة النطق جزء من هذه العملية ، اذ ان لغة العقل انتقلت من التمين Concreteness الى عالم التجريد abstraction

ولكن لما كان هناك واقع ثقافي قديم ، وكان هناك وجدان تنوقي كبير وكان له اثره على الوجدان ، اذن فكان الاولى مراعاة هذا بدل هذه القفزة التي يقفزها المؤلف حتى في السرد .. حقيقة انه جعل الحوار والسياق « مية واحدة » - وهذا سمة الفن الكبير - الا انه يوجد بعض النغور من

حقه من الوضوح والحقيقة والتجرد عن التعصب الاعمى ، بدأ بتبيين الوضع بعد وفاة الرسول ليبين تأثير هذا الوضع في مسيرة التشريع الاسلامي ، وانتهى به البحث اخيرا الى معنى التشيع . والمؤلف هنا - كغيره من اتباع الشيعة الامامية - يرى ان فكرة التشيع لم تولد بعد وفاة الامام علي رضي الله عنه او بعد وفاة الرسول الكريم ، وانما بدأت في ايام الرسول وهو نفسه كان يقضي حركة التشيع ، ويورد المؤلف بعض الدلائل التاريخية الثابتة على ذلك فمنها بعض الايات القرآنية الشهيرة في هذا الباب ومنها احاديث النبي ومن اشهرها حديث الثقلين . وينتهي المؤلف من هذا الفصل ليبدأ فصلا لصيقا به وهو دور الشيعة واسهامهم في تدوين رواية الحديث والفقه بعد وفاة الرسول ، ولا ريب ان اعظم مشروع بعد النبي هو الامام علي ، فقد تفرغ للتشريع والافتاء امدا طويلا ، وكان ابو بكر وعمر يستشيرانه في جميع المسائل التي لم ترد في القرآن بنصها او لم تفصل فيها آيات الذكر، ولقد قال عمر : « لا يفتين احد في المسجد وعلي حاضر » وقال ايضا : «لولا علي لهلك عمر ، ولا بقيت لعصبة ليس لها ابو الحسن » .

ومن اعلام الشيعة الذين برزوا في الافتاء والفقه في عهد الصحابة عمار بن ياسر وسلمان الفارسي وعبدالله بن عباس وابي بن كعب وغيرهم كثير ، وقد اورد المؤلف لهم بعض المسائل التي اُفتوا فيها ، ويستدل من الدلائل التاريخية التي ساقها المؤلف ان الدور الذي لعبه اعلام الشيعة خلال عهد الصحابة في التشريع الاسلامي كان كبيرا ، ولكن المصالح السياسية للحكام والمتنفذين وخصوصا في عهد الامويين وما عرف عنهم من عداوة للشيعة ، حاولت ان تقلل من اثر هذا الدور في التشريع ، وان تحذف منه ما استطاعت الى ذلك ما يتضاد ومصالحها السياسية والاقتصادية ، ومع ذلك فقد بقيت كثير من الآثار التي تدل على أهمية الدور الذي لعبه اعلام الشيعة خلال هذا العهد في التشريع .

وينتهي المؤلف القسم الثاني بحديث عن أدلة الاحكام الشرعية عند الشيعة الامامية في عهد الصحابة ، ويرى انها مقتصرة على الكتاب والسنة ، أما ما يراه بعض فقهاء المذاهب الاسلامية الاخرى من اتخاذ القياس والاجماع دليلين في الاحكام ، فهو يرى انه لا يصح اتخاذ القياس دليل حكم مستندا في ذلك الى قول الامام علي : « لو كان الدين يؤخذ قياسا لكان باطن الخف أولى بالمسح من ظاهره » وعلى قول الامام الصادق لابي حنيفة في معرض المناقشة : « اتق الله ولا تقس برأيك فسنقف غدا ومن خالفنا بين يدي الله فنقول قال رسول الله وقال الله وتقول أنت واصحابك رأينا وقسنا فيفعل الله بنا وبكم ما يشاء » . أما اتخاذ الاجماع دليل حكم شرعي فيرى المؤلف - وهو رأي الشيعة الامامية ايضا - ان ذلك جائز شريطة وجود الايام مع المجمعين ، أما اذا انتفى هذا الوجود فيكون الاجماع سواء كان في المدينة او في غيرها باطلا ولا يصح العمل به . وليس لنا ان ننبه هنا الى الاختلاف الكبير بين رأي الشيعة الامامية وبين المذاهب الاسلامية الاخرى حول مسألتي القياس والاجماع واعتبارهما دليلي حكم شرعي او عدمه ، فامر ذلك ظاهر للعيان .

وهي ملاحظتنا الاخيرة عن الكتاب فهي :

(1) امتياز الكتاب بسعة معلوماته التاريخية ، وهذا بلا شك راجع الى صبر المؤلف على تتبع مراجع ومصادر البحث ، مما أفنى الكتاب وجعله فريدا في بابهِ .

(2) لم يكن المؤلف وهو يناقش الاحداث التاريخية والموضوعات الفقهية متعصبا بدون وجه حق الى مذهب الشيعة الامامية ، وانما كان موضوعيا في بحثه ، وهذا امر جدير بالثناء ، لأن التعصب بدون وجه حق لا يقود الباحث الى نتائج سليمة .

(3) لم يقسم الكتاب الى ابواب وفصول ، واذا كنا قد ذكرنا في صدر كلامنا ان الكتاب ينقسم الى ثلاثة اقسام فذلك التقسيم لنا ، ونحن نرى ان يوجب الكتاب ضمانا للفائدة كما يلي :

الباب الاول (١٣ - ٩٥) الباب الثاني (٩٥ - ١٩٢) الباب الثالث (١٩٢ - ٢٥٦)

وبالامكان تقسيم هذه الابواب الى فصول ، وليس من الملازم ان يصدر كتاب في مثل هذا الموضوع بدون تبويب ضمانا للفائدة وفصل الموضوع عن الموضوع الذي يليه وعن الذي تقدمه .

(4) والملاحظة الاخيرة ان الكتاب يقتقد فهرسا للاعلام ، ولا اريد ان اؤكد مدى أهمية وجود هذا الفهرس في كتاب تاريخي كهذا الكتاب . ولا يسعني في الختام الا ان ابعث بتحياتي الى الاستاذ الفاضل الحسني ، راجيا منه ان يستمر في اتحافنا بابحاث اخرى .

علي الحسيني

العراق - الحلة